

المغرب والمشرق : علاقة وتمفصل (ملاحظات عامة)

□ يبدو أن مرحلة « ما بعد بيروت » أصبحت تفرض القيام بتحليل واضح لتمفصل العلاقة بين-نضال التحرر الوطني العربي ، الذي تمثل فلسطين قلبه النابض ، وبين النضال الديمقراطي في المغرب بمضمونه الطبقي والتحرري. وسنعمد بغية استجلاء مظاهر هذا التمفصل ، الى تقديم تحليل مقتضب يوضح أبعاد التطور التاريخي لقضايا الصراع الاجتماعي في المغرب ، في مواجهة الاحتلال الاستعماري والسيطرة الاستعمارية الجديدة .

1 - صراع القبائل ضد الاحتلال الاستعماري (1900 / 1934)

والواقع أن هذا الصراع كان هو التعبير عن مقاوم جماهير الفلاحية للاحتلال الاستعماري ، رغم أنها كانت « مؤطرة » في البنى القبلية ، وخاصة ، كما هو معروف ، لهيمنة الاوليغارشية السائدة في القبائل ، أو ما يسميه P. PASCON بـ « القائدية » . ومع ذلك فقد وجدت باستمرار امكانية لكسر الانغلاق القبلي وتحطيم حدوده الكابحة ، وغالبا ما كان يتم ذلك بالاندفاع الوطني الثوري للجماهير الفلاحية وراء قيادة سياسية تطرح مشروعا سياسيا واجتماعيا يتجاوب مع ذلك الاندفاع .

ولعل المحاولة الاولى ، من هذا النوع ، تمت في سنة 1912 ، أي مع الهبة المعممة التي قامت بها قبائل سوس والأطلس الكبير ضد « القائدية » / عملاء التدخل الاستعماري ، وكذا ضد تهاون النظام المخزني الذي كان يرعى تلك « القائدية » . وقد تمت تلك الهبة بزعامة ابن الزعيم الروحي الشهير (ماء العيينين) ، الذي سبق له في العقدين الماضيين (عن بداية هذا القرن) ان جمع القبائل الصحراوية ضد السيطرة المذكورة أعلاه . ولا بد من القول مع (E. BURKE - 1976) في هذا السياق ، بأن الاسلام هو الذي مثل راية تلك الهبة ، (الاسلام بمضمونه الشعبي الذي ربط بين الدفاع عن هوية الجماهير الفلاحية والقضاء على البنى القائدية) (1) .

أما المحاولة الثانية ، وقد استمرت أكثر من سابقتها ، فقد قادها محمد بن عبد الكريم الخطابي بين 1921 - 1926 ، وانتهت ، قبل فشلها التام ، بإقامة الجمهورية الريفية . وهذا أيضا يظهر لنا الدور الحاسم الذي قام به الاسلام في تجاوز الانغلاق القبلي . ومع ذلك فنحن نعرف أيضا أن الجمهورية الريفية كانت (دولة) عصرية ، استطاعت أن تدمج وتحول ، في نفس الوقت ، البنى الجماعية التقليدية ، التي لم يكن التطور القاندي قد مسحها بعد في هذه المنطقة . كما أننا نعرف أيضا مدى تأثير حركة النهضة العربية والحركة السلفية وكذا التيارات العصرية التي تآثرت بالثورة التركية والأنوية الأولى للنضال القومي في العالم العربي ، على التكوين الفكري لمحمد بن عبد الكريم نفسه . يضاف الى هذا وذاك الدور الكبير الذي فعلت به الثورة الريفية في حركة التحرر العربية ، والقيمة الرمزية التي يمثلها محمد بن عبد الكريم بالنسبة لهذه الحركة (2) ، وللمغرب العربي بصفة خاصة (3) .

ومعنى هذا ، بصفة عامة ، أن آثار « المستقبل الممكن » (بتعبير ج. بيريك) التي خلفتها الحركتان المذكورتان ، بقيت حية في قلوب الجماهير . خصوصا وأنها أدت الى انبثاق نضالات مستقبلية أكثر اتساعا وتجددا وتطورا =

2 - الحركة الوطنية المغربية بقيادة البورجوازية

1) البورجوازية والتحرر الوطني (1926 / 1956)

انتمت الجماهير الشعبية الحضرية في بداية القرن ضد التدخل الاستعماري وتخاذل السلطان عبد العزيز . وقد تمكنت القائدية ومعها البورجوازية الكبيرة من التحكم في حركة الانتفاضة ، ولم تستبدل عبد العزيز بعبد الحفيظ الا لكي تعبد الطريق نحو اقرار نظام الحماية . أضف الى ذلك أنه لم يكن بمقدور أية طبقة من جماهير المدن أن تقدم مشروعاً سياسياً مفيداً وناجحاً . فمشروع الدستور الذي أعدته جماعة (لسان المغرب) في 1908 ، والذي كان يتجاوب مع مطامح فئات من البورجوازية الوسطى الأكثر انفتاحاً على التمدن ، وبخاصة نموذج (تركيا الفتاة) ، كان صدها محدوداً جداً . (4) . الا أنه ابتداءً من عشرينات هذا القرن أصيبت البنى التقليدية للطبقات المدنية القديمة السائدة بتدهور شديد ، وذلك بفضل تطور نظام الحماية ، رغم أنه ساهم بالمقابل في تقوية « القائدية » في البوادي . وقد ترابط ذلك أيضا مع بروز عنصرين مناسبين : أولهما ، التأثير القوي للحرب الريفية على الجماهير الشعبية ، وخصوصاً في المدن ، وعلى الشباب المثقف بالذات . وثانيهما ، وهو عنصر خارجي ، التأثير الذي مارسه

القومية العربية على هؤلاء المثقفين ، وعلى البورجوازية المتوسطة بصفة عامة . وكان هذا التأثير مطبوعا أساسا الطابع الديني والسلفي .

ومنذ ذلك الوقت تمكنت البورجوازية المتوسطة ، كمكون رئيسي من مكونات البورجوازية الوطنية ، من قيادة ما سيعرف فيما بعد بـ « الحركة الوطنية » . ومن المعروف أن النضال السياسي الأول والكبير الذي خاضته هذه الحركة تمثل في مواجهة (الظهير البربري / 1930) ، الذي حاول اخراج القبائل البربرية عن شريعة البلاد كلها ، ونعني الشريعة الاسلامية . وقد قوبل هذا النضال بمساندة واسعة في الشرق العربي ، الأمر الذي قاد الى ايجاد روابط سياسية وايدولوجية مع الحركة القومية في الشرق العربي ، غير أن هذه الروابط ظلت بصورة رئيسية مبنية على الانتماء المشترك للاسلام ، وكذا على تضامن سياسي عاطفي ، دون أن تترقي الى مستوى الارتباط الواعي بها . ذلك لأن المفهوم الأساسي الذي ساد في (الحركة الوطنية المغربية) بقي على الدوام هو (الوطن المغربي) ، حتى عند ما وقع التأكيد عليه كوطن عربي - اسلامي . زد على ذلك أن هذا المفهوم ، وقد بلورته كما لا يخفى البورجوازية الحضرية في الظروف التاريخية التي ظهر فيها ، تجاهل باستمرار كل خصوصية ، ولو كانت ثقافية ولغوية ، للمناطق البربرية المغربية -

وابتداء من 1940 ظهرت الحركة الوطنية بقوة جيدة في البلاد كلها ، أمام الضعف الامبريالي السائد ، ولذلك انحاز جزء من البورجوازية الكبيرة (ومعها الملكية) الى الحركة الوطنية . بيد أنها بقيت حساسة تجاه الوعود التي أغرتها بها الامبريالية الفرنسية (1946 - 1955) ، وكذا تجاه القمع التي ووجهت به من قبل ومن بعد (1937 و 1945) . (5) .

ولكي نقرب أكثر من الموضوع الذي يشغل بالنا هنا ، نشير الى أن التضامن السياسي مع الحركة القومية العربية في الشرق ، تزايد بصورة واضحة ابتداء من 1948 ، وذلك مع ظهور خطر قيام دولة اسرائيل ، التي أسست بفضل الغزو العنيف الاستعماري ضد شعوب الشرق العربي ، مستندة في ذلك على الايديولوجية العنصرية للصهيونية . وقد نظرت الحركة الوطنية ، باستثناء الحزب الشيوعي ، الى هذا المشكل بالذات كقضية دينية ترتبط بالدفاع عن (القدس الشريف) .

عنى أنه ابتداء من 1956 أخذت التيارات السياسية التي ظهرت في صفوف البورجوازية الصغيرة ، (بفضل تأثير أحداث الشرق ، وكذا بفضل التناقضات التي تطورت داخل البورجوازية الوطنية وبين هذه والبورجوازية

الصغيرة نفسها اعتبارا لما أحدثته نظام الاستعمار الجديد من شروط جديدة . . . تقترب من التيارات التي ارتكزت على نفس الأسس الطبقية في الشرق العربي، وفي مقدمتها (الناصرية) و (حزب البعث) . يضاف الى ذلك أن استقرار الهياكل التبعية للاستعمار الجديد ، قاد الى تطوير انشقاقات وتحولات عميقة داخل الحركة الوطنية وفي العلاقات الطبقية بصفة عامة .

(2) البورجوازية والتبعية (ابتداء من 1956) :

حاولت الفئات المهمة من البورجوازية الكبيرة ، المدينية والقروية ، منذ مشاورات ليكس - ليبان (غشت 1955) ، الاقتراب من المصالح الاحتكارية الفرنسية ، ومن « الاقطاعية » في نفس الوقت ، هادفة من وراء ذلك الى انشاء وتقوية الدولة الاستعمارية الجديدة ، ضدا على الجماهير الشعبية ومن أجل القضاء على المنظمات الأكثر راديكالية التي برزت في الدفاع المسلح ضد الاستعمار ، قبل كل شيء . خصوصا وان المنظمات المذكورة (المقاومة الحضرية ، وجيش التحرير) كانت تهدف الى متابعة النضال من أجل الاستقلال الحقيقي ، والاجلاء التام غير المشروط لجميع القوات المسلحة والقواعد العسكرية الأجنبية ، ومن أجل مساندة نضال الشعب الجزائري والمساهمة في تحرير الصحراء الغربية من الاستعمار ، متوافقة في ذلك مع مخطتها النضالي الرامي الى تحرير المغرب العربي بآتمه .

ولم يكن من الغريب في شيء ، لهذا الاعتبار ولغيره ، أن تتعرض المنظمات المذكورة أعلاه لعنف شديد القوة والشماسة ، جمع بين التصفية الجسدية لأطر المقاومة والسحق العسكري لجيش التحرير في الجنوب ومطاردة المناضلين الصحراويين ، والتسرب والاقساد السياسي .. الخ .

غير أن سلبية الأجهزة السياسية السائدة في صفوف البورجوازية الصغيرة نفسها ، ساهمت في عزل القوى الراديكالية وخفقتها سياسيا . ومعنى هذا أن التمايزات الطبقية التي توضحت منذ الاستقلال ، بحكم هذا وذلك ، أخذت شكلها التام في السبعينات ، فأصبحنا على معرفة واضحة بطبيعة التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية المغربية . الأمر الذي يسمح لنا - في إطار الموضوع المدروس - بالتمييز بين :

- البورجوازية الكبيرة الكومبرادورية ، المرتبطة بالملاكين العقاريين الكبار ، الرأسماليين وشبه الاقطاعيين : وهذه تمثل الطبقات السائدة ، وهي متحالفة مع الامبريالية والرعية العربية .

- البورجوازية المتوسطة (ويمكن اعتبارها أيضا كـ « بورجوازية وطنية ») التي تسعى مع الشريحة العليا من البورجوازية الصغيرة الى

تكوين الرأسمال الوطني (الذي يمكن أن يتطور تحت غطاء رأسمالية الدولة) ، وتتعلق بوهم السير في هذا الطريق بالتركيز على (الاصلاحات) و (البرلمانية). وكثيرا ما تعلقت هذه الطبقة بكونها المورث السياسي والايديولوجي للحركة الوطنية المغربية (بين 1930 - 1956) . ويمكن القول بانها استعادت من هذا الماضي نفسه مفاهيمها عن الهدف الأساسي الرامي الى بناء (المغرب الأقصى الكبير) ، العربي - الاسلامي على الصعيدين الايديولوجي واللغوي ، متجاهلة كل خصوصية بربرية ، هذا مع تطلعها الى اعادة اصلاح النظام الحالي للتبعية بواسطة تدخل فعلي وقوي للتقسيم الدولي الجديد للعمل (6) . كما أنها ترغبت في تسوية نزاع الشرق الأوسط عن طريق حل تفاوضي مع الصهيونية والامبريالية ، يضمن اقامة هيكل جديد للعلاقة بين الشمال والجنوب بالنسبة لمجموع الوطن العربي .

- الجماهير الشعبية من عمال وفلاحين وأشبه البروليتاريا والاغلبية الساحقة من البورجوازية الصغيرة المدنية ، وهم لا يملكون أي حل للقضاء على استغلالهم واضطهادهم الا بالثورة .

وسوف نهتم ، فيما يلي ، بهذه الطبقات الكادحة وبالتقوى السياسية المنبثقة عنها ، قصد استجلاء مضمون التفصيل المذكور في بداية هذا البحث .

3 - الطبقات الكادحة : مسلسل الانبثاق السياسي :

بدأت المسيرة الطويلة والصعبة للجماهير الكادحة المغربية من أجل تنظيم صفوفها ونضالها بشكل مستقل ، منذ ما يزيد عن أربعين سنة . وذلك من خلال الأشكال الأولى للتنظيم التي انتهجتها الطبقة العاملة المغربية في المنظمات النقابية المرتبطة في ذلك الوقت بـ (س. ج. ت.) الفرنسية . ويرجع الفضل في ذلك الى الدور الذي لعبه مناضلو الحزب الشيوعي المغربي أساسا بين 1945 و 1948 (7) . واذا كانت حدود هذا الحزب لم تسمح للطبقة العاملة بدفع نضالها ، وهو نضال مهم وبطواري في الغالب ، نحو ايجاد تنظيم سياسي مستقل ، وأن البورجوازية الوطنية لهذا السبب تمكنت من الاستيلاء بدون صعوبات على القيادة السياسية للحركة (1949 - 1950) ، فان الطبقة العاملة المغربية لم تتوان ، منذ ذلك الوقت ، من الحفاظ على تأثيرها السياسي الخاص في النضال الوطني وفي الصراع الطبقي ، الأمر الذي قادها ، كما هو معروف ، الى التحكم الهام ، ان لم يكن الحاسم ، في المرحلة الأخيرة من النضال وفي المقاومة المسلحة ذاتها ، التي قادت الى اسقاط الحماية .

ومما يلفت النظر أن نضال الطبقة العاملة أخضع انطلاقاً من 1956 لأهداف اقتصادية بحتة ، سواء بسبب دور البيروقراطية النقابية التي تكونت في هذا الوقت ، أو بسبب رد الفعل الدفاعي الذي أجبرت عليه ابتداءً من 1960 ، الشيء الذي مكن البورجوازية الصغيرة الراديكالية ، والاصلاحية فيما بعد ، من استغلال المطامح السياسية للطبقة العاملة لفائدتها الخاصة . ولهذا يمكن القول بأن محاولات تكوين تنظيمات سياسية مستقلة تعبر عن أمانى الطبقات الكادحة ، طبعت منذ ذلك الوقت ، وما زالت إلى يومنا هذا ، بالآثر الحاسم الذي خلفته البورجوازية الصغيرة الراديكالية على هذا المسار التطوري .

1 - البورجوازية الصغيرة : بروز التيار الراديكالي والثوري :

لقد بقيت أوضاع البورجوازية الصغيرة الراديكالية إلى حدود 1956 متداخلة مع أوضاع الطبقات الأخرى في صفوف الحركة الوطنية ، رغم مساهمتها الأساسية في تنظيم الكفاح المسلح ، ولم تتوضح إلا بعد الاستقلال في خضم التناقضات التي تولدت معه .

وقد رأينا في الفترة الفاصلة بين 1956 و 1959 كيف صفت منظمات الكفاح المسلح التي قادتها بنفسها . غير أنه انطلاقاً من 1959 ، في ارتباط مع تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية حاولت تنظيم نفسها بشكل مستقل ، وخصوصاً بفضل التأثير المباشر للمهدي بن بركة ، دون أن تتمكن خلال السنوات 24 الماضية من تاريخ المغرب فرض هيمنتها داخل الحزب المذكور ولا انجاح المحاولات الكفاحية التي قامت بها على الصعيد الاجتماعي والسياسي بصفة عامة (8) .

ولا بد من الإشارة ، في سياق الموضوع الذي يهمننا ، إلى أن البورجوازية الصغيرة الراديكالية وقعت ، طوال فترة مديدة من تجربتها السياسية ، تحت تأثير المد الناصري ، وارتبطت بنضال الشعب الفلسطيني وثورته في نفس الوقت . وهذا في رأينا ، إلى جانب قضايا أخرى ، يساهم بطريقة حاسمة - كما يجدر بنا القول من الآن - في رسم الحد الفاصل بين التيار الاصلاحي والتيار الثوري داخل البورجوازية الصغيرة . ومما يؤكد هذا - ونحن نسوق هنا مثالا حديثاً - أن القيادة الحالية لحزب (الاتحاد الاشتراكي) التزمت صمتاً مريباً حيال قضية أساسية لا يمكن تجاهلها إطلاقاً ، ونعني مسألة تقديم تسهيلات معينة للقوات العسكرية الأمريكية : في حين طالب التيار الراديكالي بالوحدة النضالية والتعبئة الوطنية للوقوف ضد المحاولات الرامية إلى استعباد الوطن والجماهير الشعبية .

2 - تكوين اليسار الجديد :

الى جانب التيار الراديكالي المذكور ، اتجه قسم هام من المثقفين الثوريين وجهة أخرى ، عجلت بطرح صيغة جديدة في ميدان العمل السياسي . فقد ظهر لكثير من العاملين في الحقل الفصالي منذ 1965 ، المازق الذي يتخبط فيه (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية) على أكثر من مستوى ، وكانت الانتفاضة البيضاء (1965) حدثا بارزا وجه الانتباه نحو ذلك بصورة لا تقبل الجدل . وهذا العامل نفسه كان في أساس تكوين المنظمات السياسية التي شكلت فيما بعد ما عرف بالحركة الماركسية - اللينينية (أو حركة اليسار الجديد) ، اذ يلاحظ ان أغلب العناصر المشكلة لهذه الحركة عملت في صفوف الحزب المذكور ، وكذا في اطار حزب (التحرر والاشتراكية) .

وكان لظهور اليسار العربي الجديد في الشرق ، وخصوصا بعد 1967 ، الأثر الواضح ، وخصوصا على الصعيد الايديولوجي ، في تشكيل الحركة المذكورة . ويعد الى الذاكرة أن اليسار العربي الجديد خرج بصورة رئيسية من (حركة القوميين العرب) . فقد تميزت هذه الحركة في أصلها عن (حزب البعث) بنقدهما الأساسي لمفهوم الصراع السياسي النخبوي ، رغم أنها بقيت أسيرة المفهوم المثالي الذي ساد في الحركة القومية بشكل عام . ويمكن القول ان (حركة القوميين العرب) ، بين 1965 و 1966 قادت معارك نضالية هامة في الأردن وفي اليمن الجنوبي (الذي كان وقتها محمية بريطانية) ثم تحولت بصورة واضحة الى اعتناق الماركسية - اللينينية ، .. وهكذا ظهرت للوجود مشروعا ثوريا واحدا للعالم العربي ، تركز حول ضرورة انشاء حزب ثوري للبروليتاريا في كل تشكيلة اجتماعية على صعيد الأمة العربية ، يقود النضال المشترك سلامة العربية ضد الامبريالية والصهيونية وضد الرجعية العربية .

يضاف الى هذا أن من بين العوامل التي أثرت في تكوين حركة اليسار الجديد في المغرب ، وجود صراعات داخلية في صفوف الاحزاب الشيوعية الرئيسية في الشرق العربي ، وما كان لتلك الصراعات من ذيوع وانتشار (خصوصا في مصر والعراق ولبنان ..) ، وهو ما كان المناضلون المغاربة يتابعونه باهتمام وترقب .

وتجدر الإشارة في هذا السياق الى أن اليسار العربي الجديد في الشرق العربي ، بقي ، مع ما ذكرنا من تحولات ، حاملا نفس المفهوم المثالي للقومية العربية الذي دانت به حركة القوميين العرب من قبل . أضف الى هذا أن ايديولوجية الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي ، لم تتخلص من التجريبية التي طبعت ممارساتها ، على ما يظهر ، منذ أمد بعيد ، رغم أنها طورت

موافقها ، وهو شيء محسوس ، تجاه المسألة القومية والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص .

أما حركة اليسار الجديد في المغرب ، فقد طبعت منذ البداية أيضا بالارث الايديولوجي للبورجوازية المغربية ، مع وجود بعض القواطع المهمة ، وبصدق هذا على كثير من موافقه ، وان كان يبرز بصورة جلية في موقفه من (القضية الصحراوية) - رغم تطور بعض أفكاره حولها - ، وكذا تجاه قضية (تمازيغت) . فقد ماشت حركة اليسار الجديد فيما يرجع لهذه القضية ايديولوجية البورجوازية المغربية المطبوعة بمفهوم « أسطوري ، نوعا ما للدور الكبير الذي يجب ان تقوم به اللغة العربية في تكوين وتقوية الأمة العربية ، وفي نفس الوقت بالاطروحة البورجوازية التي لا تقتصر الدولة الا مركزية وتتصور الأمة معها أحادية من الوجة الثقافية ، وليس يخفى أن الايديولوجية المذكورة تحتقر جميع الأشكال الثقافية واللغوية غير المكتوبة ، أضف الى هذا أنها تحمل على قضية (تمازيغت) بالذات آثارا من الظروف التاريخية لتكوين الحركة الوطنية المغربية . فقد خلفت هذه الآثار عقدة حقيقية تجاه (المسألة البربرية) كمسألة متناقضة مع (العروبة) .

وعلى هذا يمكن القول بأن هناك مسارا تاريخيا يجب قطعه من أجل استخلاص نظرية ثورية منسجمة تسمح بتجاوز الارث الايديولوجي البورجوازي وتحدد التمفصل العضوي بين القضية القومية العربية وبين النضال الثوري في المغرب بنوعيه : التحرر الوطني والصراع الطبقي ، وهما نوعان يعبران في العمق عن المطامح الأساسية للجماهير الكادحة بغية التحرر من الاستغلال والاصطهاد .

وسنحاول في القسم الأخير من هذا البحث تحديد الاشكالات الرئيسية التي يجب معالجتها من أجل اعداد النظرية المذكورة ، على أن هذا لا يجب أن ينعنا من كل شيء . ولكي يكون هذا العمل الجماعي ناجحا فلعله من المفروض أن يتجذب في صفوف الجماهير الكادحة ، وخصوصا في صفوف الطبقة العاملة والفلاحين ، معتمدا في ذلك على معرفتها الحسية وممارستها الثورية .

4 - نحو تحرر الجماهير الكادحة المضطهدة :

لعل أقوى ما يربط بين الهبات الجماهيرية التي ميزت بداية هذا القرن في سوس (1912) والريف (1921) وانتفاضة البيضاء (1965 - 1981) ، مروراً بنضالات الطبقة العاملة منذ 1945 والكفاح المسلح في المدن والبادي (1953 - 1956) ... الخ ، هو ارتباطها بالدفاع عن تحرر المواطن من سلطة

الإضطهاد الوطني والاجتماعي معا ولتوضيح هذه الفكرة أكثر ، يمكن القول بأن الامبريالية (وحلفاءها في مختلف أرجاء المعمور) تسعى بصورة واضحة ، وخصوصا في وقت تتسارع فيه سيطرة الاحتكارات وتميل الى التهكل على التصيد الدولي ، الى تحويل الجماهير الكادحة في ثلثي الكرة الأرضية الى جيش احتياطي صناعي ضخم ، وقوة عمل مستعبدة . ولهذا الأمر فنضال الجماهير الكادحة يكتسي ، في الواقع ، طابعا مزدوجا ، فهو نضال من أجل حياة الجماهير نفسها ، وهو كذلك من أجل استمرارهم في العيش كبشر . انه نضال يرمي الى تأكيد وحماية الهوية . وهذا ما يفسر ، اذا شئنا ايراد الأمثلة ، لماذا أحست الجماهير الشعبية العربية احساسا عميقا بالمسحوق الصهيوني على فلسطين . فهذا العدوان لم يكن عدوانا من أجل القضاء على الشعب الفلسطيني كشعب ، بل وسحاولة للقضاء على الأمة العربية كذلك .

ككيف تتمازج مكونات الهوية بالنسبة للجماهير المغربية الكادحة والمضطهدة ؟ اننا نقول بما يلي :

1 - ان انتاج الهوية يتم أساسا في العلاقة التي توحد **المنتج الجماعي** بالأرض وذلك في اطار التمازج الذي يحصل بين هذه وذلك ، خلال سيرورة تاريخية طويلة الأمد .

2 - ان المنتج الجماعي في المغرب ، تأسس خلال قرون عديدة على تراث الجماهير الفلاحية المنظمة في القبائل . ولذلك فالثقافة / الهوية ، التي تكونت في اطار ذلك ، هي التي كونت قبل الاسلام هوية المغرب الامازيغي .

3 - وبواسطة الاسلام ، وكذا بواسطة تداخل المغرب مع سيرورة تكون الأمة العربية على امتداد قرون ، أدمج الاطار القبلي الامازيغي وتحوّز في نطاق مجرى تيار أوسع عن التفاعل والتصاهر . وبفضل الشبكات التجارية وتمفصل بوادي - مدن ، تطورت امكانيات جديدة للارتباط بالأرض ، وفي ارتباط مع ذلك تفتحت للطاقت الثقافية للجماهير الكادحة المغربية . وقد مثل التطور المذكور الأساس التاريخي للثقافة العربية - الامازيغية ، ثقافة الشعب المغربي وخصوصية انتمائه للأمة العربية في آن واحد :

4 - وقد أحقت عصور الانحطاط الماضية ضررا كبيرا بالنتيجة المذكورة في النقطة السابقة . أضف الى ذلك أن الثقافة والايديولوجية التي فرضتها الطبقات السائدة في المرحلة (الامبراطورية) ثم في المرحلة المخزنية ، باسم « الأورثودوكسية » في معظم الاحيان ، ساهمتا بدور لا ينكر في طمس التفاعل الذي كون ثقافة الشعب المغربي . غير أن ذلك كله لم يتمكن من القضاء على الآثار التي ترسبت في الذاكرة الجماعية للجماهير الشعبية .

5 - ان المرحلة التاريخية الحالية من تبنيين الأمة العربية ، تفرض أن تكون قبل كل شيء، مرحلة تتوحد فيها الجماهير الكادحة في كل تشكيلة اجتماعية عربية ، نضالا لا هوادة فيه ضد الرجعية العربية المحلية (وضد ايديولوجيتها كذلك) . من أجل انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ، وهو انتصار يقتضي أن تكون البروليتاريا في قيادته السياسية كذلك .

6 - ان ادماج الوطن المغربي في الأمة العربية ، ومساهمة النضالات الطبقيّة للجماهير الشعبية المغربية في حركة التحرر العربية ، ليس متناقضا مع وجوب انجاز أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية المغربية . ولا يمكن أن يتحقق هذا الا بازدهار « الاثنوية » ، الامازيغية ، لأنه لا تناقض في هذا المجال أيضا بين المحافظة على « الاثنوية » ، والامازيغية والانتماء للأمة العربية (10) .

7 - ان الهوية الوطنية التي لا بد من استعادتها والحفاظ عليها والعمل على تطويرها ، يجب أن تتركز على النضال التحرري للعمال والفلاحين ، ونضال مجموع الجماهير الكادحة والمضطهدة ، وذلك في نطاق متصل ثابت وأكد بين النضالات الطبقيّة ونضالات التحرر الوطني في التشكيلة الاجتماعية المغربية من جهة ، وبين المساهمة الفعلية في نضال التحرر القومي العربي من جهة أخرى .

ملاحظة ختامية :

ان الأمة - خلافا للمفهوم البورجوازي - تنبثق عن تبنيين ديناميكي على امتداد قرون ، ويتضمن مراحل طويلة من التقدم والتراجع لا تستقل عن دينامية الصراع الطبقي ، وسيحقق التبنيين المذكور ازدهاره التام مع بناء الاشتراكية بقيادة البروليتاريا . ويمكن الاشارة أيضا الى أن دور اللغة في تبنيين الأمة ليس محددًا رئيسيًا ، رغم أهميته . كما أن الوحدوية اللسانية ليست شرطًا لا بد منه . وفيما يعني المغرب يمكن القول بأن تداخل الثقافتين العربية والامازيغية في ثقافة وطنية مغربية ، يفرض - كما أنه فرض خلال القرون الأولى من تطور الاسلام بالمغرب - تفتح اللغتين اللتين تحملاهما (العربية - الامازيغية) في نطاق الثقافة الوطنية المغربية نفسها . ونشير أخيرا الى أن التبنيين الديناميكي للأمة العربية ، يتم في المرحلة التاريخية الراهنة ، بواسطة تطور تاريخي يركز على ركيزتين (الوطنية والقومية) متكاملتين بالضرورة .

سبتمبر 1982

هوامش :

- (1) PRELUDE TO PROTECTORATE IN MOROCCO, (1)
E. BURKE III, CHICAGO 1976 P. 199 et Suivantes.
- (2) انظر المؤلف الجماعي عن عبد الكريم وجمهورية الريف (بالفرنسية) منشورات ماسبيرو (باريز) .
- (3) انظر حول ذلك كتاب جرمان عياش
LES ORIGINES DE LA GUERRE DU RIF. Société marocaine des éditeurs réunis - Publications de la Sorbonne 1981.
- (4) E. BURKE ، مصدر مذكور ، الفصل الخامس (99 - 127) .
- (5) انظر : حزب الاستقلال (من الامة الى الطبقة) - ارشاد حسن - الجسور (مجلة) العدد 3 / 1981 .
- (6) انظر كتاب فتح الله والبطون :
L'impérialisme et la troisième Fase de domination, éd. Maghrébines 1967
- (7) اننا لا نتكلم على نضالات (1936 - 1938) التي كانت بصورة اساسية نضالات العمال العمال الاوربيين بالمغرب .
- (8) ومع ذلك ، يمكن القول هنا بان القطيعة الاخيرة (ماي 1983) بين هذه القوى الراديكالية وقيادة الحزب (الاتحاد الاشتراكي) لا يمكن اعتبارها محاولة فاشلة ، لانها تمثل مرحلة جديدة في نهج القوى الثورية المغربية .
- (9) انظر حول ذلك العدد الخاص بالظواهر الاسلامية الذي اعده مجلة
Peuples Mediterramienn
عدد 21 ، ومساهمة MUKAFFA بالخصوص .
- (10) ان الراي القائل بوجوب كتابة الامازيغية بحروف تيفناغ ، يمكن ان يكون عقبة في وجه تطور الوجدية / الازدواجية المشار اليها في النص . وعلينا ان نفكر مستقبلا في كيفية تعليم اللغتين (العربية والامازيغية) انطلاقا من الدراسة الابقدانية . وهو ما يمكن ان يشكل كلا منسجما من اجل تطور الطفل انطلاقا من لغة امه الشفوية ، والتعرس باللغتين يمكن ان يصبح سهلا اذا قام - في هذه السن المبكرة - على كتابة مشتركة (مع مراعاة المتطلبات الفونولوجية ..) - ان مشكل كتابة اللغة الامازيغية يجب ان يكون في راينا محط اهتمام من طرف لاختصاصيين المغاربة جميعا .
انظر حول هذا الموضوع :
- اشكالية الكتابة الامازيغية - الشامي محمد .
اعمال الملتقى الاول للجامعة الصيفية . اكادير 1980 ، ص. 155 / 174 .